الفصل الثاني

الصهيونية اليهودية
بين
فلسطين واليهود

بدأت حركة التنوير اليهودية في أوربا في منتصف القرن الثامن عشر، والتي دعت اليهود إلى أن يخرجوا من حالتهم السلبية في انتظار المسيح اليهودي المخلص، وأن يحاولوا البحث عن الخلاص بأنفسهم، واستمرت حتى سنة ١٨٨٠م، ويُعدّ موسى مندلسون (١٧٢٩ - ١٧٨٦م) فيلسوف التنوير اليهودي الأول، والذي حاول أن يعقلن العقيدة والفكر اليهودي الذي كان في تلك الفترة يعيش بعقلية القرون الوسطى، كما أن الحركة الديناميكية التاريخية، التي أدت إلى بروز الوعي القومي الأوربي بشكل عام في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، هي نفسها الحركية التي أدت إلى ظهور المفهوم (القومي) اليهودي، الذي بعث الحياة في فكرة أرض الميعاد، في محاولة للتخلص من حالة الخزي النفسي التي كان اليهود يشعرون بها أمام الاعتزاز الأوربي القومي الذي احتقر الأمم الأخرى، وحاول التخلص من الأقليات ولا سيما منهم اليهود الذين كانوا يشكلون مشكلة أوربية يهودية (المسألة اليهودية)، والتي حاولوا الوصول إلى حلها، بل والاستفادة منها، في سياق التطلعات الأوربية الاستعمارية، وبتأثير من الصهيونية غير اليهودية المسيحية، والاستعمارية، وبذلك اجتمعت أو التقت القناعات السياسية الأوربية، مع التطلعات الدينية، والسياسية لليهود الذين أخذوا يشعرون بحاجتهم إلى وطن يكون لهم مبعث عز، وملجأ (أو غيتو دولي) يحميهم من الاضطهادات التي تعرضوا، ويتعرضون لها في دول الغرب المسيحي، وقد التقط هذا التوجه كل من العلمانيين والحاخاميين الإصلاحيين اليهود، وأخذوا يعملون على حل المسألة اليهودية، وقد بدأ الحاخام يهودا القلعي البوسني (١٧٩٨ - ١٨٧٨م)، والحاخام البولوني تسفي هيرش كاليشر (١٧٩٥ - ١٨٧٤م) بالدعوة إلى جمع تبرعات مالية لإقامة مستوطنات ومستعمرات في فلسطين، وكان يهودا القلعي قد حاول استرضاء أوربا المسيحية، وحاول أن يدمج التصورين الدينيين المسيحي البروتستانتي، واليهودي في تصور واحد، حيث أكد أن المسيح ابن مريم سوف يشارك في معركة ياجوج وماجوج (هارمجدون)، وسوف يسقط في المعركة، الأمر الذي سيتبعه مجيء المسيح اليهودي المنتظر (المسيح بن داود)، كما أكد على أن عقيدة الخلاص ستكون أولا بعودة اليهود إلى الأرض

المقدسة، ومن ثم سيتبعه مجيء المخلص، وليس العكس، كما جاء في رؤيا الأنبياء اليهود، وفي هذا السياق يقول يهودا القلعي {إن شعب إسرائيل كله يجب أن يعود إلى الأرض التي هي إرث آبائنا، لاستلام الأمر الإلهي، وقد تنبأ بهذه العودة جميع الأنبياء}.

أما كاليشر فقد اقترح على اليهود أن يحزموا أمرهم، ويعودوا إلى أرضهم المقدسة (فلسطين) لمتابعة تاريخهم، بدل أن يبقوا ينتظرون بسلبية مجيء المسيح المنتظر {لماذا يضحي شعب إيطاليا وشعوب العالم من أجل أرض آبائهم ونحن لا نعمل شيئا؟ لنقتد بالإيطاليين والبولونيين والمجريين الذين ضحوا بكل شيء من أجل الاستقلال.. إذا قدمنا الخلاص للأرض بهذه الطريقة الدنيوية، فسوف تظهر لنا علامات الخلاص تدريجيا وسيسمع الإله للمستوطنين وسيسرع بيوم خلاصهم}، وتأسست في هذا السياق جمعية أحباء صهيون، وكان من أهم شخصياتها يهودا ليون بنسكر (١٨٢١ - ١٨٩١م)، وجمعية أو منظمة البيلو، والتي كانت ترى أنه يجب الخضوع للحراكية التاريخية، ولذلك يجب تنحية الأفكار الخلاصية الغيبية في المعتقد اليهودي، ولا سيما معتقد المسيح الذي سيجيء ليعيد اليهود إلى أرض الميعاد، الذي قادته حركة الهاكسلا، وكان موسى مندلسون هو الممثل الرئيسي لهذه الحركة، وفي النهاية، وبسبب مجموعة تغيرات دولية فقد فشل، أو انحسر تيار التنوير اليهودي الذي كان يدعوا إلى اندماج اليهود في مجتمعاتهم، كما تأسست في فرنسا جمعية الأليانس في فرنسا سنة ١٨٦٠م للدفاع عن الحقوق اليهودية في العالم، وقد سبق ذلك تشكيل منظمة بناي بريت سنة ١٨٤٣م في نيويورك، وهي التي ساهمت بتشكيل الصهيونية، كما قدمت منظمة بناي بريت دعما كبيرا للصهيونية بعد تشكلها، وقد وقفت جمعية عشاق أو أحباء صهيون ضد اندماج اليهود في مجتمعاتهم (الذي تبناه تيار الهكسلا التنويري)، ودعت إلى عودة اليهود إلى البلاد المقدسة، وكانت جمعية عشاق صهيون منظمة صهيونية يهودية دينية صوفية مسيحانية أكثر منها منظمة سياسية، ولكنها شكّلت أحد بنى الصهيونية السياسية على يد هرتزل، الذي بنى صهيونيته على عدة أسس أهمها:

إن اليهود يشكلون شعبا واحدا بغض النظر عن جنسياتهم، وعن البلدان التي يقيمون فيها.

ولا يمكن لليهود، على الرغم من تقادم الزمان، أن يذوبوا في المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانيها، لعدة أسباب، وأنهم، وبسبب ذلك، عانوا من عمليات اضطهاد متعددة على مر التاريخ.

وكانت جمعية أحباء صهيون قد أسست أو ساهمت بتشكيل، أو بروز التيار الصهيوني اليهودي تحت تأثير بيرتس سمولنسكين (١٨٤٢ - ١٨٨٥م)، لا سيما بعد تفجر الأحداث اليهودية في روسيا وبولندا وصدور قوانين مايو ١٨٨٢م، والتي قضت على فرص الاندماج اليهودي، وبذلك بدأت هجرة يهودية واسعة من شرق أوربا نحو غربها، ولا سيما إلى إنجلترا وفرنسا وألمانيا والعالم الجديد، وهي التي شكلت ما دعي بـ (المسألة اليهودية).

لقد أدى فشل حركة التنوير اليهودية (الردة التنويرية)، بالتعاون مع صهيونية الأغيار (ذات البعد الاستعماري، الإمبريالي) التي كانت استجابة اليهود لها ضعيفة في البداية، إلى ظهور الصهيونية، والتي تُمثل الجناح السياسي لليهودية العالمية (من أجل إنشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين يحميه القانون)، والتي نصّبت نفسها قائدة

للجماعات اليهودية في أوربا، والتي استطاعت أن تعقد مؤتمرها الأول سنة ١٨٩٧م في بازل بسويسرا، بقيادة مسيحها السياسي الصحافي القانوني تيودور هرتزل، والذي كان قد تتلمذ فكريا على يد موسى هس الذي كان قد تبنى أفكار الحاخام كاليشر وطورها إلى (نظرية قومية يهودية تقوم على الدين والعرق أي على الجنس اليهودي)، وكان عدد أعضاء المؤتمر ٢٠٦، وهو يماثل عدد العظام التي تشكل جسد الإنسان، وهذا يحاكي أو يحقق نبوءة حزقيال الذي رأى عظاما تتجمع وتشكل إنسانا حيا، على الرغم من أن الصهيونية لم تعتمد في بنيتها على اليهودية كدين، بل على العكس كان قادة الصهيونية على حالة عداء أو خرق للطقوس والشعائر الدينية كما كان يفعل هرتزل، كما أن ماكس نوردو كان ملحدا، أما وايزمان فكان على مرأى من الحاخامات يقوم بخرق الطعام المباح، ومن أجل هذا فقد دعا الآباء الأوائل للصهيونية اليهودية إلى تشكيل دولة على أساس قومي (عبراني) لا ديني (يهودي)، كما أن هؤلاء القادة كانوا يرون أن التراث الذي تشكل في مرحلة الشتات يجب التخلص منه لأنه تراث نتج عن مرحلة الهزيمة، وهو يشكل تراثاً انهزامياً، وقد استطاع قادة الصهيونية المؤسسين من تحويل أو ترجمة أو تسييس المعتقد الديني اليهودي إلى برنامج سياسي، ويمكن اختصار المنطلقات النظرية الصهيونية بثلاث نقاط:

استعادة أرض مملكة إسرائيل بحدودها التاريخية

إعادة تكوين الشعب اليهودي في وطنه القديم

إيقاظ الوعي القومي بين يهود العالم

والصهيونية نشأت في البداية كفكرة، ثم قامت بتصنيع شعب يؤمن بعقيدتها، ويشكل بنية تحتية لتصورها، ومن ثم قامت بتشكيل دولة ذات بنية هرمية مقلوبة، رأس الهرم إلى الأسفل، وقاعدته إلى الأعلى، كما هو حال الهرم المجتمعي اليهودي المقلوب، والذي تشكل قاعدته طبقة غنية وثقافية وقيادية، وأما قمته فيشغله بعض الناس البسطاء غير المميزين على عكس الهرم الاجتماعي بشكل عام.

وبدأت الصهيونية ترفع عقيرتها، ودعاويها التاريخية والسياسية للهجرة إلى فلسطين (أرض الميعاد) لتشكيل غيتو يهودي عالمي في فلسطين على حساب الشعب العربي، وكان من أهم الشخصيات الصهيونية اليهودية التأسيسية الأولى إلى جانب تيودور هرتزل، الحاخام آحاد هعام (١٨٥٦ - ١٩٢٧م)، واليساري دوف بيربوروخوف (١٨٨١ - ١٩١٧م)، واليميني فلاديمير جابوتنسكي (١٨٨٠ - ١٩٤٠م)، وحاييم وايزمان (١٨٧٤ - ١٩٥٢م)، الذين أسسوا الصهيونية العالمية كحركة تبحث في حل المسألة اليهودية من داخل المشكلة، لا من خارجها كما هو الأمر بالنسبة للصهيونية غير اليهودية، وقد أدرك قادة الصهيونية، برؤية استشرافية، أن حل المسألة اليهودية لا يمكن أن يتم إلا من خلال التعاقد مع التطلعات والمصالح الإمبريالية الغربية، وهو ما دعي بـ (العقد الصامت) والذي ينص على أن:

تقوم الإمبريالية العالمية بتقديم كل سبل الدعم للصهيونية، من أجل تهجير يهود أوربا إلى فلسطين التي ستقدمها لهم الإمبريالية العالمية دون أي مقاومة، بل وحتى دون سكان بالمعنى الوطني، وكان حاييم وايزمان الرئيس الأول لدولة إسرائيل الصهيونية قد فضح هذا البند من بنود العقد الصامت بين الصهيونية والإمبريالية الغربية ممثلة

الصهيونية غير اليهودية حين صرّح {لقد اتفقنا مع الإنجليز على أن نتسلم فلسطين خالية من السكان}.

أما دور الصهيونية في هذا العقد فيكون من خلال جعل دولة إسرائيل الصهيونية تقوم بعدة وظائف قابلة للتعديل حسب متطلبات الإمبريالية، وتبعا للمتغيرات السياسية والعسكرية، المحلية، والدولية، ومن هنا فقد جعلت الإمبريالية العالمية من الكيان الإسرائيلي، كيانا ليس له تشكيل محدد، لا على المستوى الجغرافي، ولا على المستوى السياسي، كيانا قابلا للتعديل بما يتناسب والوظيفة التي يجب أن يقوم به، ولكن أهم دورين ثابتين على الصهيونية القيام بهما من خلال دولتها هما:

- الدور الوظيفي الأول يتمثل بتخليص أوربا من الفائض اليهودي الطفيلي، وتوظيف الصفة الطفيلية اليهودية في إضعاف البنية الاقتصادية للمنطقة العربية، وبث الجراثيم المرضية العامة في بنية العالم العربي، والإسلامي، وهو الأمر الذي يسمح للإمبريالية العالمية من الهيمنة على العالم العربي، ويسهّل عليها سلبه مقدراته الاقتصادية، وفي الوقت نفسه، فإن الصهيونية، كانت ترى أنها بتشكيل كيانها السياسي هذا يمكن لها أن تشّكل غيتو عالمياً في (أرض الميعاد) يستطيع اليهودي ضمنه أن يخلع جبته الكلسية التي تحول دون اندماجه مع المجتمعات الأخرى، واستبداله بجبة أو جدار عال حول الدولة الصهيونية.

- أما الدور الوظيفي الثاني الذي يجب أن تقوم به الدولة الصهيونية، فهو كونها قاعدة عسكرية إمبريالية متقدمة ذات تكاليف رخيصة، بدل التكاليف الكبيرة التي تحتاجها حاملات الطائرات، والصواريخ بعيدة المدى.

كما أن على دولة إسرائيل أن تشارك في سير الأحداث الطارئة، وفي الوقت المناسب، بينما تستطيع الإمبريالية أن تجد الحلول الاستراتيجية لمصالحها فيما لو تعرضت إلى أي تهديد في المنطقة.

وإسرائيل التي أصلا تعاقدت مع الإمبريالية العالمية على هذا الدور تدرك تماما أنه بمقدار ما تحقق من منافع للإمبريالية بمقدار ما تكون أو تشعر بطمأنينة أكبر على استمرار إقامتها من جهة، إضافة إلى ارتباط فائدتها بالمكافأت التي تتقاضاها من الإمبريالية من جهة أخرى.

كانت الصهيونية بعد مؤتمرها الأول قد بدأت بعولمة مشروعها، تحت شعار الغاية تبرر الوسيلة (الميكافيلية)، مستفيدة من حالة البؤس والشقاء التي تعيشها الطائفة اليهودية في كل بلدان العالم الغربي، لا سيما وأن مفهوم اللاسامية الذي كان قد بدأ بالانتشار في سياق تصاعد القومية الأوربية نحو العنصرية الأوربية، وأخذت الصهيونية - والتي رأت فيه عنصرا إيجابيا في مشروعها المستقبلي - تدق على طبوله موسيقا الخوف والجزع لليهود وللعالم الغربي على حد سواء، وقد استدرج هرتزل، من خلال نظريته (رسالة الرجل الأبيض التحضيرية)، الدوائر والمؤسسات الإمبريالية العالمية بحيث صوّر الدولة اليهودية بـ (متراس أوربا في آسيا)، وقد قام بزيارات متعددة إلى دول العالم للحصول على البراءة الدولية والتي تعني تبني إحدى الدول المشروع الصهيوني على أساس مصالح مشتركة متبادلة، وقد أجاد هرتزل بالعزف، لكل دولة على حدة، الموسيقى التي تطرب آذانها، وتدغدغ مشاعرها، وتفتح شهيتها الاقتصادية.

ففي اسطنبول عرض على السلطان عبد الحميد رفع الديون التي تثقل كاهل الإمبراطورية الآيلة إلى السقوط، لكن الرد كان قد خيب أمله.

وفي ألمانيا، وهي إحدى القوتين العظميين في تلك الآونة، إلى جانب بريطانيا، طرح هرتزل مشروع دولة يهودية تقوم بدور محمية ألمانية ضمن (المجال الحيوي الشرقي) لألمانيا.

ولكن هرتزل، وبعد أن أضاع بعض الوقت على أبواب ألمانيا، أدرك أن الحل الوحيد، والطريق الوحيد إلى فلسطين هو الذي يمر من لندن التي عرض عليها إقامة دولة يهودية حامية وحارسة لقناة السويس، وقد وافق تشامبرلين وزير المستعمرات الإنكليزي سنة ١٩٠٢م على طرح هرتزل، واشترط أن يتم توطين اليهود في سيناء والعريش لقربهما من قناة السويس، ولكن مشكلة نقص المياه في تلك المنطقة حالت دون التقدم في هذا الطرح، كما طرح عليه أيضا سنة ١٩٠٣م فكرة توطين اليهود في أوغندا، وقد وافق بعض أعضاء المؤتمر على هذا الطرح، ومنهم هرتزل، على أساس المناورة، لا على أساس القبول الحقيقي حسب اعتقادي، وتم رفض هذا الطرح نهائيا بعد موت هرتزل سنة ١٩٠٤م.

وفي روسيا عرض هرتزل إقامة دولة يهودية يمتص من خلالها كل القوى اليهودية اليسارية الثورية التي تقض مضجع روسيا، لكن القيصر لم يتحمس للفكرة.

وفي إيطاليا طرح هرتزل توطين اليهود في ليبيا تحت رعاية إيطاليا، لكن رد الملك عمانوئيل كان باردا حين علق على المشروع بـ (البناء في منزل شخص آخر)، أما البابا فقد رفض دعم (اليهود الكفرة)، وبالتالي كانت ردود الفعل مخيبة لآماله.

ولكن هرتزل استمر بالعمل قدما على لم اليهود حول المنظمة الصهيونية، والتي جعل منها دولة غرائبية (دون شعب ودون جغرافيا)، ولكنه وضع الأسس لامتلاك العنصرين من خلال (الهجرة اليهودية الصهيونية الثانية) التي بدأت سنة ١٩٠٤م، ومن أوربا الشرقية للمرة الثانية، وفي تلك السنة مات هرتزل، وترأس المؤتمر خلفا له دافيد ولفسون، وقد استفادت الصهيونية برئاسته من انقلاب (حزب الاتحاد والترقي) سنة ١٩٠٨م في تركيا، الأمر الذي، بالمحصلة، أدى إلى تخفيف القيود المفروضة على الهجرة اليهودية إلى فلسطين، حيث تقوّت الصهيونية قليلا بعد أن دُعمت بالطاقات البشرية التي هاجرت إلى فلسطين، وفي سنة ١٩١١م ترأس المؤتمر الصهيوني أوتو واربرغ بدلا من دافيد ولفسون.

ومع انطلاق الحرب العالمية الأولى التي أدت إلى انخفاض في عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين، بدا المشروع الصهيوني بالترنح، ولكن الصهيونية التي لم تنثن عزيمتها عن المضي قدما في مشروعها، ومن خلال استقراء الصهيونية للمستقبل، كثفت نشاطاتها نحو المملكة المتحدة إحدى القوى العظمى في زمانها، واستطاعت في النهاية من خلال المملكة المتحدة أن تحصل على (البراءة الدولية) وهو الأمر الذي سيمنح الدولة المانحة حق وضع الاستيطان اليهودي الصهيوني في فلسطين تحت حمايتها، كما سيجعل المال والقوة اليهودية بكل أشكالها المادية والعقلية، العلنية منها والسرية، في خدمة الدولة الواعدة، وقد كان للمبادرة الإنجليزية حق السبق في إعلان الوعد الذي أطلقه على الملأ وزير خارجيتها اللورد الصهيوني المسيحي ليونيل

روتشفلد بلفور في يوم ٢-١١- ١٩١٧م، والذي جاء فيه {إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه الإخلال بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا بالحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الأخرى}.

وكانت بريطانيا قد أرادت من إعلانها لهذا الوعد محاصرة النفوذ الفرنسي في لبنان، والدفاع عن قناة السويس وهو الهاجس الأكثر أهمية من سابقه، وهذا الوعد الذي كان يتم العمل على تحرير وعود مماثلة له في كواليس أكثر من دولة أوربية، أهمها ألمانيا والنمسا، ففي تلك الفترة كانت نهاية الحرب العالمية أصبحت قاب قوسين أو أدنى، والمتوقع أنها ستسفر عن تحولات دولية جديدة، ورسم خارطة جديدة لمناطق النفوذ حسب نتائج الحرب، وكانت الجماعات اليهودية قد انقسمت على جانبي طرفي الحرب العالمية الأولى، وكان لتلك الجماعات دور فعال في تحولات ميزان القوى، وبذلك فقد كانت الدول المتحاربة تسعى لاسترضاء الجماعات اليهودية التي كانت تمسك بثلاثة أوراق ذات تأثير كبير في تلك الحرب:

الأولى منها محاولة الدول كسب الجماعات اليهودية للوقوف إلى جانبها في جبهة الحرب، بدل وقوف تلك الجماعات ضدها، وهذه الورقة كان لها أهمية خاصة في روسيا، التي كانت تعاني من حالة مخاض داخلي، إلى جانب معاناتها على جبهات الحرب، وكانت الثورة البلشفية تحضّر نفسها للحظة الانفجار، وكانت الجماعات اليهودية من الركائز المهمة والقيادية في الحزب الشيوعي، وقد تفجّرت الثورة بعد خمسة أيام من إعلان وعد بلفور.

أما الورقة الثانية التي كانت بحوزة الجماعات اليهودية، فهي ملكيتهم لبيوتات المال العالمية، حيث كانت الدول تسعى للحصول على قروض مالية لدعم الجيوش بالمعدات العسكرية، ودعم الاقتصاد الداخلي.

أما الورقة الثالثة فكانت من خلال إمكانية الجماعات اليهودية التأثير على الجانب الأمريكي الذي لم يكن قد حزم أمره بعد في دخول الحرب العالمية.

وفي السباق الدولي على إطلاق هذا الوعد لكسب الجماعات اليهودية، استطاعت بريطانيا بالتنسيق مع الولايات المتحدة الأمريكية أن تستبق جميع الدول، ولا سيما النمسا، وألمانيا التي كانت تعد في كواليسها الوعد الذي يكفل لها الحصول على البراءة الدولية من أجل كسب اليهود إلى جانبها في الحرب.

وقد كان برانديس زعيم يهود أمريكا قد جنّد ضغطا أمريكيا على الحكومة البريطانية لاستصدار الوعد، وقد شارك الجانب الأمريكي في تحرير مسودة الوعد، وتم الاتفاق عليها بين السلطتين البريطانية والأمريكية، كما وافق على الوعد بعد صدوره كل الدول الكبرى لتدخل فلسطين ضمن مؤامرة دولية كبرى.

والجدير ذكره هنا، أن الكثير من السياسيين والمفكرين، ولا سيما منهم العرب، يحاولون أن يلمعوا الفكرة، أو التصور الذي يذهب إلى أن الصهيونية كانت تبحث عن أي مكان على وجه الكرة الأرضية ليكون وطنا قوميا لليهود، ولم يكن لدى القيادات الصهيونية تصور مبدئي وثابت في (العودة) إلى أرض الميعاد اليهودية التوراتية،

وهذا التصور الذي تبناه بعض المفكرين ينبع من محاولة فك الارتباط بين اليهودية من جهة، والصهيونية ببعدها العقيدي الديني من جهة أخرى، ويحاول هذا التصور إظهار الصهيونية على أنها منظمة سياسية، وهي وإن كانت قد نهضت لحل المسألة اليهودية، فإنها ليس لها أي علاقة أو ارتباط وثيق بالدين اليهودي، كما أن هذا التصور يحاول أن يقلل أو يسخّف من مفهوم الوطن القومي الديني في الفكر الصهيوني، وقد بنى هؤلاء الساسة، والمفكرون تصورهم على ما كان يُطرح على الصهيونية من أوطان قومية من قبل الدول الأوربية الاستعمارية، وعلى الطريقة المراوغة التي كان الصهاينة يردّون بها على هذه الطروحات، بحيث يوافقون على تلك الطروحات ظاهريا، كما لو أنهم يوافقون عليها من حيث المبدأ، على الرغم من أن كشف جوهر فكرة الوطن القومي الصهيوني لا يتعدى النظر إلى اسم المنظمة (الصهيونية) المأخوذ من (جبل صهيون) في مدينة القدس، وهو ما يدعى بمدينة داود، حيث كان الملك التوراتي داود قد اتخذ من قلعة جبل صهيون مقرا أو عاصمة له قبل استيلاء اليهود على أورشليم في سياق بداية الألف الأولى قبل الميلاد حسب الادعاء التوراتي، وبذلك فإن جوهر الصهيونية يقوم على إعادة اليهود إلى فلسطين على اعتبار فلسطين هي المملكة الداودية التوراتية، وقد تجاهل هذا التصور أن الصهيونية هي مذهب ديني - مادي يهودي استطاع أن يوفّق ما بين الرؤية العلمانية الغربية، وما بين التصور الحلولي للدين اليهودي.

وكان هرتزل في حواره مع أصحاب النفوذ في أوربا يظهر ما لا يبطن، من خلال حواره الفضفاض، ومات قبل أن يكشف عما كان يدور في سرائره، ومن هنا فقد كوّن بعض الباحثين تصورا يذهب إلى أن هرتزل لم يكن يضع في أولوياته أن يكون الوطن القومي لليهود في فلسطين حصرا، ولم يكن هرتزل ليهتم كثيرا بالوطن الصوفي اليهودي، وهو تصور مسطح أثرت فيه ثعلبية هرتزل والذي استطاع، كما نوهنا، أن يعزف لكل أذن ما تهواه من الموسيقا من أجل الحصول على (براءة الوعد)، وقد حاول هرتزل أن يجعل من دعوته إلى إنشاء وطن قومي لليهود مطلبا إنسانيا، فهو سيجمع اليهود ويحميهم من الاضطهادات التي يتعرضون لها في غير مكان، في الوقت الذي لن يحدث هذا الوطن القومي أي ضرر في الجغرافيا التي سيحل فيها، ولا في الشعوب المحيطة به، وهي صيغة (التمسكن) التي غايتها التمكن من استحواذ أي وعد للذهاب به خطوة أثر خطوة إلى حيث يضمر هرتزل والقيادة الصهيونية، في الوقت الذي كان بطريقة خلفية مبطنة يقوم بتهديد أوربا من اليهود، فهو حينا يستثير شفقة الدول الكبرى، وحينا يثير شهية جيوبها، ومطامعها، وحينا يهددها، ففي لندن قال أثناء تسويقه لفكرة الوطن القومي لليهود، وأن من مصلحة الإنكليز أن يناصروا اليهود لأنهم بذلك {يقضون على خطر ثورة يقوم بها اليهود ولا أحد يعلم كيف تنتهي}.

وقد تابعت القيادات الصهيونية، إلى درجة ما، نفس النهج الهرتزلي، ونفس الخطاب الثعلبي المراوغ الفضفاض في سياق مسيرتهم نحو الوطن القومي لليهود، وقد كشف اللورد كرزون سنة ١٩١٩م هذه الخاصية حين قال {بينما يقول لك وايزمان شيئا، فتفكر في مركز قومي لليهود، يضع هو نصب عينيه شيئا آخر مختلفا كل الاختلاف. إنه يفكر في دولة

يهودية وسكان عرب خاضعين يحكمهم اليهود. إنه يسعى إلى تحقيق ذلك خلف ستار الضمانة البريطانية وحمايتها}.

ومن هنا، فإني أعتقد، أن على من يريد قراءة، واستكشاف الآلية التي تقوم عليها الحراكية الصهيونية، أن يكون ملما بالتصور اليهودي للتاريخ المبني على الادعاءات التوراتية التاريخية، وبغض النظر عن كون اليهودية (ديانة، أو عرق، أو أثنية، أو اندماج أكثر من عنصر من هذه العناصر)، وحسب اعتقادي فإن هذه القراءة المعمقة تمكننا من الوقوف أمام ظاهرة تاريخية خاصة يمكن تسميتها بالعناد التاريخي، الأمر الذي يستوجب ألا نتعامل، أو نقرأ الحركة الصهيونية بطريقة سطحية، لأن للصهيونية عمقاً تاريخياً يعود إلى قرابة ثلاثة آلاف عام.

الصهيونية والهجرة إلى فلسطين

بدأت الدعوات الدينية (للعودة) إلى البلاد المقدسة تتصاعد في بداية الألفية الثانية للميلاد، وكانت متزامنة مع تصاعد التعصب الديني المسيحي، وخاصة لدى المذهب الكاثوليكي، والذي في النهاية قاد الحرب الصليبية (لتحرير البلاد المقدسة من أيد المسلمين)، أما بالنسبة لليهود (المنهزمين) فقد كانت دعوات الهجرة (العودة) إلى أرض الميعاد ذات طبيعة دينية رومانسية، وكان من أهمها دعوة الفيلسوف والشاعر اليهودي يهودا هاليفي (١٠٨٥ - ١١٤١م)، وبعد تصاعد عمليات اضطهاد الأوربيين للجماعات اليهودية، تصاعدت دعوات الهجرة، ومنها دعوة دافيد روبيني، وتلميذه سولمون مولوخ (١٥٠١-١٥٣٢م)، ودعوة منشة بن إسرائيل (١٦٠٤-١٦٥٧م)، ودعوة شبتاي زيفي (١٦٢٦ - ١٦٧٦م)، والذي اعتبر نفسه المسيح المنتظر الذي سيعيد بناء مملكة اليهود، لا سيما بعد أن تمكن اليهود من جمع المال الذي يمكنهم من شراء الأرضي والعقارات في منطقة فقيرة مثل فلسطين.

وكانت أولى الدعوات التي دخلت حيز التنفيذ هي دعوة اليهودي الإسباني دوم جوزيف ناس سنة ١٥٦٦م الذي قام بشراء قطعة من الأرض قرب بحيرة طبريا، بعد أن كان قد أخذ إذنا من السلطان العثماني، وقد أسكن في تلك المستوطنة بعض اليهود الهاربين من اضطهاد محاكم التفتيش في أوربا الكاثوليكية، وخاصة في إسبانيا، وقد شكل هؤلاء المستوطنون طائفة صوفية يهودية، ولكنها لم تجد الكثير من الأتباع، وقامت المستوطنة الثانية قرب مدينة يافا، وقد بلغ عدد المهاجرين من اليهود منذ ذلك التاريخ حتى سنة ١٨٣٩م ٦٠٠٠ مهاجر، وفي سنة ١٨٤٥م بلغ العدد ١١٨٠٠، وقد أُنشئت مستوطنتان لليهودي موسى منتفيوري سنة ١٨٥٥م في مدينتي صفد وطبرية، وفي سنة ١٨٨٢م بلغ العدد ٢٤٠٠٠ مستوطن يهودي، وبعد الاضطهاد الروسي لليهود إثر اتهامهم بالمشاركة في اغتيال القيصر الروسي الكسندر الثاني، برزت المنظمات اليهودية التي بدأت تدعو وتنظم الهجرات اليهودية إلى فلسطين، وكانت تلك الهجرات تتم على شكل موجات:

كان أولها الموجة التي امتدت بين سنتي ١٨٨٢ - ١٨٩٧م، والتي أشرفت عليها جمعية عشاق أو أحباء صهيون، وموّلت من قبل البارون اليهودي روتشيلد، وقد بلغ عدد

الذين تم توطينهم في فلسطين قرابة خمسة آلاف يهودي قدموا من روسيا ثم من رومانيا وألمانيا وبريطانيا والنمسا، وعلى الرغم من أن هذا العدد ليس بالكثير، ولكن هذا القليل مع الزمن كان له أثر كبير في التغيرات الديموغرافية في بلد صغير مثل فلسطين، وكان اليهود الأشكناز يدخلون إلى فلسطين تسللا بعد حصولهم على تأشيرة دخول كمواطنين أجانب لهم حقوق خاصة، وكان للقناصل الأجانب الدور البارز في هذه العملية.

وقد تزايدت، هذه الهجرة اليهودية إلى فلسطين، بشكل ملحوظ بعد أن استطاعت الصهيونية أن ترتبط بشكل وظيفي مع المخططات الإمبريالية نحو المنطقة العربية، وهي التي دفعت بالموجة، أو الهجرة الثانية، التي بدأت سنة ١٩٠٤م، ومن أوربا الشرقية للمرة الثانية، بعد أن تسامحت تركيا مع قوانين الهجرة اليهودية، وبلغ عدد المستوطنين اليهود سنة ١٩١٣م ٨٥٠٠٠ نسمة، والذي عاد للانخفاض حتى بلغ في نهاية الحرب العالمية الأولى نحو ٥٥٠٠٠ نسمة، بعد أن أدى الاستيطان المتسارع في فلسطين إلى أعمال عنف طالت المستوطنين الجدد وممتلكاتهم من جهة، ومن جهة ثانية اكتشاف المستوطنين الجدد للخديعة التي روّجت لها الصهيونية في حملتها الإعلامية في الهجرة إلى الأرض التي تسيل لبنا وعسلا، ومن جهة ثالثة التغيرات العالمية التي قادت إلى الحرب العالمية الأولى، والنتائج التي أسفرت عنها.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عادت أمواج الهجرة تصل إلى شواطئ فلسطين، لا سيما بعد دخول الجيش الإنكليزي فلسطين، وإعلان وعد بلفور سنة ١٩١٧م، الذي اعترفت به الدول الكبرى حينها، وبذلك ازدادت عمليات الاستيطان بدعم من قبل الدول الأوربية التي اتفقت مصالحها مع المصالح الصهيونية، وتلاحقت الهجرات على شكل موجات وكان أغلب المهاجرين من دول أوربا الشرقية بالدرجة الأولى، ومن دول أوربا الغربية ومستعمراتها بالدرجة الثانية، ومن دول الشرق الأوسط (العراق واليمن وإيران والمغرب) بالدرجة الثالثة، وقد بلغ عدد اليهود في فلسطين حتى ١٥-٥-١٩٤٨م يوم إعلان الدولة الصهيونية في فلسطين ستمائة ألف مستوطن يهودي.

وبعد أن حازت الصهيونية اليهودية على الجهاز السياسي في فلسطين، وبعد أن كانت المستوطنات في فلسطين هي بديل أو شبيه للغيتوات اليهودية في أوربا، انفتحت تلك المستوطنات على بعضها في تشكيل سياسي معترف عليه من قبل الدول العظمى، وبالتالي من قبل الهيئات الدولية، وقد قامت الحكومة الصهيونية الإسرائيلية بسن قانون العودة سنة ١٩٥٠م، وبذلك استمرت عمليات التوطين، حيث تزايدت بعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧م، كما حققت تزايداً كبيراً بعد سقوط الشيوعية في الآونة الأخيرة.

بدأت الهجرة اليهودية في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، إلى فلسطين التي كانت تحت السيادة العثمانية، وكانت تلك الهجرة تقض مضاجع العرب، منذ أن لاحظوا تزايدها في نهاية القرن التاسع عشر، ومن المعروف أن اليهود الذين عادوا إلى فلسطين هم الفقراء والمستضعفون، أما أغنياء اليهود، وقادة الصهيونية المالية فقد ظل أغلبهم في أوربا ينعمون بالأمن في قصورهم الفارهة، ودفعوا بالفقراء إلى الخوف والموت في ساحات الحرب وفي المستوطنات بعد أن بدأت أعمال الاحتجاج الشعبية العربية، والتي نتج عنها بعض الأعمال العسكرية البسيطة ضد هذه الهجرة، والتي تزايدت بالوقت نفسه الذي بدأت فيه التنظيمات الإرهابية اليهودية بالتشكل بعد المؤتمر اليهودي الأول سنة ١٨٩٧م تحت شعار الدفاع الذاتي، وفي سنة ١٩٠٩ تشكلت منظمة الهاشومير اليهودية الصهيونية تحت شعار (الدفاع الذاتي)، والذي تحول إلى شعار (الدفاع الإيجابي)، وحلّت مكانها منظمة الهاجانا سنة ١٩١٩م، والتي انشقت عنها منظمة الأرجون المتطرفة، والتي انشقت عنها منظمة شتيرن الأكثر تطرفا والأقل عددا ذات النشاط السري، ثم انشقت عن منظمة الهاجانا منظمة البالماخ (الصاعقة)، أو تشكلت ضمنها كأحد الأجنحة الضاربة للهاجانا، وهي التي كانت نواة جيش الدفاع الإسرائيلي.

وقد كانت هذه التنظيمات تعمل ضد العرب تحت حماية الاستعمار الإنكليزي الذي كان يُعدّ سيناريو (وعد بلفور) على أرض الواقع، وقد نفذت هذه التنظيمات عدة مجازر أهمها: مجزرة القسطل ٨-٤-١٩٤٨م، ومجزرة دير ياسين ١٠-٤-١٩٤٨ ونفذتها منظمتا الأرجون وشتيرن بمساعدة من منظمة البالماخ، وتم قتل ٢٥٤ فلسطيني، منهم ٢٥ امرأة حاملاً، و٥٢ طفلا دون العاشرة من العمر قطعت أوصالهم أمام أمهاتهم، وقد أخذت المنظمات الصهيونية بعض النساء وحملوهن على سيارات مكشوفة وهن عاريات، وطافوا بهن في الحي اليهودي في القدس، وكان لهذه الحادثة الأثر الكبير في بث الرعب في نفوس العرب الأمر الذي جعلهم يخلون الكثير من قراهم، ويهربون إلى الدول المجاورة، وقد وصف بيغن المشهد حين قال {.. كان العرب المذعورين يهربون صارخين: دير ياسين.. دير ياسين}، وهناك اعتقاد أن مجزرة كفر قاسم كانت عبارة عن مجزرة منهجية تم وضع سيناريو خاص بها من أجل جعلها مجزرة إعلامية لبث الرعب في نفوس الشعب العربي في فلسطين.

وفي النهاية استطاعت الصهيونية أن تثبت أقدامها وبقوة في فلسطين، كما واستمرت الهجرة الاستيطانية إليها من جميع أنحاء العالم، وحتى يومنا هذا ولكن، وبسبب النضوب النسبي لمصادر الهجرة فقد تناقص بشكل تدريجي عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين، ولكن تلك الهجرة عادت وتيرتها للتصاعد بشكل مؤقت بعيد تفكك العالم الشيوعي، ثم عادت

للشحوب ثانية، الأمر الذي ما زال يقض مضاجع الصهيونية بسبب المخاوف التي تطلقها الاستقراءات الديموغرافية للزمن القريب القادم، وتغيرات النسبة الديمغرافية بين عدد الإسرائيليين اليهود، والإسرائيليين العرب، والمتعلقة بقضيتين أساسيتين هما:

أولا: التزايد السكاني الداخلي في دولة إسرائيل، والفارق بين نسبة التزايد السكاني السنوي بين اليهود، وبين عرب دولة إسرائيل.

وثانيا: مؤشر ميزان الهجرة اليهودية من العالم إلى دولة إسرائيل (الهجرة الإيجابية)، والهجرة من دولة إسرائيل إلى العالم الغربي (الهجرة السلبية)، وخاصة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وعلى الرغم من أن دولة إسرائيل هي الدولة الأقل أمنا، وأمانا، والأكثر خطورة على اليهود في العالم، وعلى الرغم من أنها البلد الأفقر، والأقل حراكية اقتصادية، والأكثر بطالة بالنسبة للدول الأوربية والولايات المتحدة التي تكثر فيها الجماعات اليهودية أو الجاليات، حسب الصهيونية، على اعتبار أن اليهود هم إسرائيليون، وعلى الرغم من أن جميع الإسرائيليين يحملون جنسيات أوربية غربية، إلا أن الكثير من اليهود قرروا الهجرة إلى (أرض الميعاد) وعلى الرغم من خسرانهم لمراكزهم، ولفرص عملهم، كما أن الكثير من الإسرائيليين يصرّون على بقائهم في دولة إسرائيل على الرغم من كل الظروف الصعبة التي يتعرضون لها في دولة إسرائيل.

وهنا لنا أن نتساءل لماذا يهاجر اليهود من بقاع العالم إلى دولة إسرائيل..؟

لماذا لا يكتفي اليهود فقط بممارسة شعائر الحج والصلاة، والرحلات الصوفية ومن ثم العودة إلى بلدانهم..؟

لماذا يقررون (العودة) الأبدية إلى الأرض المقدسة (الفردوس المفقود) في التصور الديني الغيبي، والذي هو في الحقيقة (الجحيم المتفجر).

وهذا يجعلنا نضع بالحسبان البعد الغيبي اللاهوتي الروحي لليهودي، على الرغم مما عرف عنه من أنانية ومادية مفرطة، وأن نفكر بتلك الجملة التي كان يرددها اليهودي مرات عديدة في اليوم، ولمدة ألفي سنة، والتي تقول (العام القادم في أورشليم)، كما تجعلنا نتأمل التأثير الروحي للمزمور ١٣٧:

«على أنهار بابل هناك جلسنا.
بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون.
على الصفصاف في وسطها علّقنا أعوادنا.
لأنه هناك سألَنا الذين سبونا كلام ترنيمة
ومعذّبونا سألونا فرحا قائلين: رنموا لنا من ترنيمات صهيون
كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة.
إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني.
ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك
إن لم أفضّل أورشليم على أعظم فرحي.».

الصهيونية، والقومية العربية، والأرض

بدأت الصهيونية برؤية واضحة، وبإمكانات ومقدرات عالية في مشروع الهجرة إلى فلسطين، وإقامة الكيان اليهودي، لا سيما بعد مؤتمر بازل سنة ١٨٩٧م، بينما كانت حركة النهضة العربية في ظل الحكم العثماني المترهّل - والتي كالحركة الصهيونية قد ولدت في أحضان الفكر القومي الغربي - ما زالت بحالة تَشكّل، مع رؤية ضبابية، ووعي لم يصل إلى حجم التحديات، لا سيما بالنسبة لموضوع الاستيطان اليهودي، والذي تنبه إلى خطورته، دون أن تكون ردة فعل الجانب العربي موازية لحجم الخطر المحدق، وعلى الرغم من أن الباب العالي في استنبول كان قد وقف ضد المشروع الصهيوني، ولكن مشاغله الداخلية، والخارجية كانت تجعله مكتوف الأيدي، بخاصة وأن المال اليهودي الذي كان يقدم كرشاوى كان يقوم بدوره الفعال عند أصحاب القرار الأتراك في فلسطين، وبذلك استمرت عمليات الهجرة اليهودية واستملاك الأراضي من خلال أعمال السماسرة، والتي من خلالها اشترى اليهود مساحات واسعة من الأراضي من الشعب العربي الفلسطيني الفقير الذي لم يكن يمتلك الوعي التاريخي لتلك الحركة، ومن الإقطاعيين الغائبين أصلا، والذين كانوا يقيمون في المدن الكبرى، وبعضهم كان يقيم في أوربا، وكان يتم بيع أراضيهم التي لم تكن تدر عليهم الكثير من المال بسبب سوء الاستثمار، عن طريق عمليات سمسرة، بحيث أن الأراضي كانت تنتهي إلى اليهود، وفجأة يكتشف الفلاحون، بعد طردهم من الأراضي التي كانوا يعملون بها كمستثمرين سنويين (مرابعين)، أصبحت مُلكاً لغير أصحابها، وهذا ما أدى إلى مصادمات بينهم، وبين الملاك الجدد، الذين حرّموا على الفلاحين العرب العمل بها حسب تعليمات الصهيونية، وكانت أولى الاحتجاجات العربية قد رفعها أعيان القدس سنة ١٨٩١م كبيان إلى الباب العالي يطالبون فيه بوضع حد للهجرة اليهودية، وقد صدر قرار عثماني سنة ١٨٩٢م ينص على منع بيع الأراضي في فلسطين إلى اليهود، ولكن قرارات البيت العالي المدعومة بالمقاومة الشعبية، مع المقالات الصحفية، جميعها لم يكن لها تأثير حقيقي على المشروع الصهيوني، الذي استمر في مشروعه الاستيطاني من خلال الهجرة اليهودية الثانية (١٩٠٤ - ١٩١٤م)، في الوقت الذي استفادت الصهيونية من مجيء الحكومة التركية الانقلابية سنة ١٩٠٨م.

واستمرت الحال على ما هي حتى بدأت الحرب العالمية الأولى، وكان الجانب العربي منقسماً إلى فريقين:

الأول أيد وساند الجانب التركي.

والثاني، وهم أغلب القوميين العرب، وقف إلى جانب القوى الغربية، والذي انضم إليه الفريق الأول، بعد هزائم الأتراك المتلاحقة في خضم الحرب العالمية الأولى،

وسياسة جمال باشا القمعية، وبذلك انطلقت الثورة العربية الكبرى، والتي أتت بعد تنسيق أو (اتفاقية مكماهون - الحسين) وقبول الإنكليز بـ (بروتوكول دمشق) الذي ينص على استقلال الدول العربية تحت العرش الهاشمي، في الوقت الذي كانت تتم فيه سرا صياغة اتفاقية (سايكس - بيكو) التي تتعارض مع اتفاقية (مكماهون - حسين).

وانطلقت الثورة العربية، ودون صعوبات تذكر سيطر الثوار العرب على منطقة شبه الجزيرة العربية، وتم إعلان استقلال العرب يوم ٢٧ حزيران ١٩١٦م، وبويع الشريف حسين ملكا، وتم التقدم المنسّق مع دول التحالف نحو بلاد الشام، في الوقت الذي أطلق فيه بلفور وعده من جهة، وتم نشر بنود اتفاقية (سايكس بيكو) من قبل لينين في روسيا من جهة ثانية، ولكن القوات العربية، بعد أن تم امتصاص نقمتها على الإنكليز من خلال تطيب الخواطر، استمرت في تنسيقها مع دول التحالف، ودخل الجيش العربي دمشق يوم ٣٠ أيلول ١٩١٨م، وفي ٣٠ تشرين الأول أعلنت تركيا استسلامها، وبذلك انتهت أربعة قرون من الجهل والتخلف والجوع والاضطهاد للأمة العربية، التي لم تكن تعي المخططات التي كانت ترسمها أوربا بالتفاهم مع الصهيونية، بل وأن قيادة الثورة العربية كانت تضع بثقة وبصدق يدها بيد الإنكليز أنفسهم الذين أعطوا وعدا لليهود بإقامة الدولة اليهودية، والذين كانوا قد أوضحوا للشريف حسين أن فلسطين هي جزء من الدولة العربية، وكانوا يثقون بما يقال لهم، كما أنهم كانوا ينظرون بعين العطف والقرابة مع اليهود على اعتبارهم من أهل الذمة، وكان حاييم وايزمن قد قابل الملك فيصل في معسكره بالقرب من ميناء العقبة سنة ١٩١٨م، وأكد له أن الحركة الصهيونية لا تهدف إلى إقامة حكومة يهودية في فلسطين، وجلّ ما تخطط له هو تطوير فلسطين، بحيث يمكن لها أن تصبح دولة متقدمة، وكان الجانب العربي تنطلي عليه مقولات الإنكليز، واليهود، التي كانت تطيب خواطر العرب، وتهدئ مخاوفهم.

وكان الأمير فيصل بن الحسين، الذي ترأس الوفد العربي إلى مؤتمر باريس للسلام الذي عقد يوم ١ كانون الثاني / يناير ١٩١٩م، الذي أتى في نهاية الحرب العالمية الأولى لتقسيم غنائم الحرب، وكانت فرنسا قد اعترضت على مشاركة الوفد العربي لأن إمارة الحجاز لم تكن قد اشتركت في الحرب بصفة رسمية، ولكن بريطانيا ومقابل تنازلات من الوفد العربي، أهمها:

الاعتراف بوعد بلفور من حيث المبدأ، على أن تشرف إدارة من الدول الكبرى على فلسطين، بحيث تحافظ على التوازن بين الأجناس والأديان، مقابل المشاركة في المؤتمر.

الاعتراف باستقلال البلاد العربية، وكانت موافقة الوفد العربي على نص وعد بلفور ناتجة عن قناعة الوفد أن هذا الاعتراف سيرتبط باعتراف استقلال البلدان العربية، في الوقت الذي لم يكن أعضاء الوفد العربي قد سمعوا بعد باتفاقية سايكس بيكو، ولم يكونوا يدركون أن الدول الكبرى كانت تتجادل حول اقتسام الوطن العربي فيما بينها، وقد استطاعت بريطانيا أن تنجح في ثني الاعتراض الفرنسي على مشاركة الوفد العربي، وبذلك تم اشراك الوفد العربي في مؤتمر باريس، وكان أعضاء الوفد (كالأيتام على مأدبة اللئام)، وكان الوفد الصهيوني إلى مؤتمر باريس برئاسة حاييم وايزمن وناحوم سوكولوف، وقد قدم الوفد الصهيوني مذكرة طالب فيه بالاعتراف بالحق التاريخي للشعب اليهودي في فلسطين.

وحددت جغرافيا فلسطين (تبدأ في الشمال عند نقطة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بجوار مدينة صيدا وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان حتى تصل إلى جسر القرعون. فتتجه منه إلى البيرة متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرعون ووادي التيم، ثم تسير في خط جنوبي متبعة الخط الفارق بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ حتى جوار بيت جن، وتتجه شرقا بمحاذاة مفارق المياه الشمالية لنهر مغنية حتى تقترب من سكة حديد الحجاز إلى الغرب منها، ويحدها شرقا خط يسير بمحاذاة سكة الحجاز وإلى الغرب منها حتى ينتهي في خليج العقبة، وجنوبا حدود يجري الاتفاق عليها مع الحكومة المصرية، وغربا البحر المتوسط).

وقد أقر لاحقا المؤتمر معاهدة فرساي، وميثاق عصبة الأمم، الذي يتضمن وضع دول المنطقة تحت الانتداب، والذي يقر بوعد بلفور الذي يناقض ميثاق عصبة الأمم، ووقع على المعاهدة الأمير فيصل بن الحسين، وقد اعترض على ذلك وزير خارجية بريطانيا كريزون قائلا {إن الصهاينة يعملون على إقامة دولة يهودية يكون العرب فيها حطابين وسقائين وكذلك الكثيرون من المتعاطفين البريطانيين مع الصهاينة.. - وأضاف ساخرا - هنا بلد به ٥٨٠٠٠٠ عربي و٣٠٠٠٠ يهودي.. وانطلاقا من مبادئ تقرير المصير النبيلة وانتهاء بنداء رائع موجه إلى عصبة الأمم، نشرع الآن في وضع وثيقة تمثل.. دستورا معلنا لدولة يهودية. ولا يسمح للعرب المساكين إلا أن ينظروا من ثقب المفتاح بوصفهم طائفة غير يهودية}.

أما اللورد سيد نهام فقد قال في مجلس اللوردات {فما فعلناه بتنازلاتنا لا للشعب اليهودي وإنما لقطاع متطرف صهيوني، هو أننا بدأنا قرحا نازفا في المشرق، ولا أحد يدري إلى أي مدى سيمتد هذا القرح}، ولكن، وعلى الرغم من ذلك، فقد أقر في عصبة الأمم وأصبح ساري المفعول بعد معاهدة لوزان.

وفي مؤتمر سان ريمو تم الاتفاق على انتداب بريطانيا على العراق وفلسطين (على أساس وعد بلفور) وانتداب فرنسا على سورية ولبنان حسب اتفاقية سايكس بيكو، وقد ادّعت الأوساط الصهيونية أنه تم اتفاق بين الأمير فيصل وحاييم وايزمن رئيس الوفد

الصهيوني، قَبل فيها الأمير فيصل بوعد بلفور، وقد تم نشر الاتفاق السري سنة ١٩٣٦م بعد موت فيصل، وقد أنكر أعضاء الوفد العربي حصول مثل هذا الاتفاق.

وقد تم لاحقا إقرار معاهدة فرساي وميثاق عصبة الأمم، والذي يتضمن شرعية الانتداب بحجة تهيئتها للاستقلال، ووقّع على المعاهدة الأمير فيصل، وقد رفضها الشريف حسين، وكان الملك فيصل قد بعث في سنة ١٩١٩م برسالة إلى الزعيم الصهيوني فيليكس فانكفورتر يقول فيها {نحن نشعر بأن العرب واليهود من عرق واحد، وقد عانينا الاضطهاد نفسه من جانب الدول الكبرى. إننا نحن العرب ننظر بعين العطف إلى الحركة الصهيونية فنحن نعمل معا على تجديد منطقة الشرق الأدنى وبعثها.. إن حركتينا تتمم الواحدة الأخرى.. ففي سوريا مكان يتسع للعرب واليهود معا. وما أظن أن واحدا منا ينجح دون التعاون مع الآخر.. آمل بمستقبل تساعدوننا فيه ونساعدكم على نحو نستطيع معه الإسهام فيما يعود بالخير على الشعوب المتحضرة في العالم}.

في الوقت الذي جاء في المؤتمر الثاني عشر للصهيونية سنة ١٩٢١م {يأخذ المؤتمر علما بأن منطقة شرقي الأردن التي ينظر إليها الشعب اليهودي كجزء متمم من أرض إسرائيل سوف تدمج في منطقة الانتداب لفلسطين، ويجد المؤتمر نفسه ملزما بالإعراب عن أسفه على أن مسألة الحدود الشمالية لأرض إسرائيل لم تجد سبيلها إلى حل مرض حتى الآن}.

وبدأ العرب، أصحاب القضية الأساسية، يستيقظون في وقت متأخر، بعد أن بدأ السيناريو يتمثل على الأرض، وتزايدت الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وازداد استملاك اليهود للأراضي الفلسطينية بشتى الطرق الشرعية، وغير الشرعية، لا سيما بعد أن عيّنت بريطانيا الصهيوني هربرت صموئيل أول مندوب سامي على فلسطين سنة ١٩٢٠م، وقد حصلت عدة ردات فعل عربية مسلحة، وفي النهاية انفجرت الثورة العربية الكبرى سنة ١٩٣٦م، والتي استمرت حتى سنة ١٩٣٩م، ولكن ذلك لم يكن ليحدث التأثير الكبير على مجريات الأحداث التي كانت الصهيونية قد نجحت في كتابة السيناريو بإحكام، بتعاون مع قوات الانتداب البريطاني أحيانا، وأكثر الأحيان بعدم رضاها، وقد قفز عدد المستوطنين اليهود في فلسطين من ٨٠.٠٠٠ مستوطن سنة ١٩٢٢، إلى ٦٤٠.٠٠٠ مستوطن في نهاية الانتداب، وفي النهاية تم الإعلان عن تشكيل دولة إسرائيل يوم ١٥ - ٥ - ١٩٤٨م.

بالمقابل كان الجانب الصهيوني اليهودي قد شارك في الحرب العالمية الأولى من خلال (كتيبة القناصة الملكية) من يهود المملكة المتحدة، وقد شاركت هذه الكتيبة في حملة أللنبي على فلسطين، وردفتها في نهاية الحرب بكتيبة يهودية ثانية تعدادها قرابة ٥٠٠٠ مقاتل سنة ١٩١٨م برئاسة دافيد بن غوريون ويتسحاق بن تسفي، ووصل قسم من جنود هذه الكتيبة إلى فلسطين للقتال إلى جانب أللنبي أيضا، كما تشكلت كتيبة في فلسطين سنة ١٩١٧م، ونقلت إلى مصر، وكان مجموع اليهود الذين شاركوا في الحرب قرابة ٥٠٠٠ مقاتل، إضافة إلى ذلك تشكلت منظمة سرية لأعمال التجسس باسم (نيلي) إلا أنها أُكتشفت، وحُلّت بعد أن اعتقل بعض أفرادها.

وفي النهاية انتهت الحرب العالمية الأولى، وتركت وراءها فلسطين تحت الانتداب البريطاني بقيادة إدارة عسكرية، وسعى الجنرال كلايتون لتخفيف الاحتقان العربي على وعد بلفور، وتراجع الحلفاء بتعهدهم باستقلال البلدان العربية، أما الصهيونية فبدأت تفرض سياسة الأمر الواقع، وتابعت الحركة الصهيونية من خلال لجنة المندوبين التي اعتبرت نفسها حكومة في طور التشكل، وبدأت عمليات التهويد على المستويات الثلاثة (السلطة - والشعب - والأرض) والتي لم تكن على وفاق مع الإدارة العسكرية البريطانية التي كانت تحاول أن تخادع وتهادن الطرف العربي، وتطمئن العرب بشأن المشروع الصهيوني، بينما كانت تعمل لجنة المندوبين الصهيونية ضمن مفهوم وعد بلفور، وكانت (بوقاحة) تسبب الحرج الشديد للجانب البريطاني، وقد تم تغيير القيادة العسكرية البريطانية عدة مرات، إلا أن تم تعيين اليهودي هربرت صموئيل سنة ١٩٢٠م مندوبا ساميا على فلسطين، في الوقت الذي بدأت تتكشف الخديعة التي قامت بها الدول الكبرى للشعب العربي، وبينما سنت السلطة البريطانية القوانين التي من شأنها تهويد فلسطين، فعدّل قانون الهجرة سنة ١٩٢١م عدة مرات، وكذلك بالنسبة لقانون نقل ملكية الأراضي، المترافق مع اعتراف المندوب السامي بالمؤسسات الصهيونية المتزامن مع تضييق الخناق على الجانب العربي، وبدأت أعمال المقاومة للانتداب من جهة، والمشروع الصهيوني من جهة أخرى، وكان هو الأهم والشغل الشاغل للحركة الوطنية، وكان قد عُقد المؤتمر الفلسطيني الأول سنة ١٩١٩م ردا على مؤتمر يافا الصهيوني سنة ١٩١٨م، وكانت قد نجحت الصهيونية في تهميش دور المعارضة اليهودية للمشروع الصهيوني من خلال الاعتراف الإمبريالي بالحركة الصهيونية التي قدّمت نفسها كممثلة ليهود العالم.

وعلى الرغم من أن حكومة الانتداب لم تعط الحركة الصهيونية الحبل على الغارب، إلا أن الجرأة الصهيونية في تجاوز أنظمة الانتداب كان يضعها في حالة حرج أمام جميع الأطراف الفلسطينية والعربية والإقليمية والدولية، ولكن (الابن المدلل المتمرد) لم يكن ليأبه بذلك، وهذا ما وضع الشعب الفلسطيني في صراع متعدد الجبهات، وعلى الرغم من أنه كان يعي بحسه الفطري الخطر الصهيوني منذ بدأ ترسيمه على الأرض، لكنه لم يكن لديه البنية التحتية، من حيث التنظيم السياسي والاجتماعي، الكافية للدخول في صراع منظم، كما أن (الكتب البيضاء) البريطانية إضافة إلى التطمينات المخادعة، كانت تهدأ الحالة الثورية الفلسطينية كلما وصلت إلى مرحلة من الاحتقان تنبأ بقرب الانفجار، وقد جاء في الكتاب الأبيض الأول أن وعد بلفور لا يعني تأسيس وطن قومي يهودي على كل الأرض الفلسطينية، وأن هذا الوطن لا يعني تشكيل دولة يهودية، كما أن استمرار الهجرة اليهودية منوط بمقدرة الوضع الاقتصادي للمنطقة على استيعاب المهاجرين الجدد، وأخيرا تشكيل مجلس تشريعي كخطوة أولى على طريق الحكم الذاتي، وكان المندوب السامي صموئيل، ومعه تشرشل مقتنعين بـ {أن أولاد أولادنا سيكونون قد رحلوا عن الدنيا قبل تحقيق الحكم الذاتي؟؟}.

وقد كان الكتاب الأبيض هو أساس صك الانتداب الذي صادقت عليه عصبة الأمم سنة ١٩٢٢م، وبذلك أصبحت المؤامرة البريطانية -الصهيونية ذات شرعية دولية، ولكن الاحتقان الشعبي الفلسطيني تفجر في ثورة البراق سنة ١٩٢٨م والتي امتدت على كل

مناطق التماس بين القرى العربية والمستعمرات الصهيونية، وقد سيطرت قوات الانتداب على الثورة، إلا أن بعض المطلوبين الذين فروا إلى الجبال شكلوا أول تنظيم عربي مسلح في فلسطين أطلق عليه الكف الأخضر، وكان تحت قيادة أحمد طافش، ولكن هذا التنظيم انحل بعد قرابة العام، واستمرت أعمال المقاومة، وقد جاء الكتاب الأبيض الثاني سنة ١٩٣٠م في أثر ثورة البراق، وتقرير لجنة شو التي تحققت من أسباب الاضطرابات، وبرأت حكومة الانتداب البريطاني من المسؤولية التي ألقتها على سياسة (الوطن القومي اليهودي)، وقد كان عصارة التقرير اعتبار حائط البراق وقف إسلامي، كما جاء فيه التأكيد على التزام حكومة الانتداب نحو شعوب المنطقة بأن تكون عادلة حسب صك الانتداب، ويجب (ألا يلحق الضرر بالعرب من جراء الهجرة اليهودية)، وقد أكدت حينها حكومة الانتداب البريطاني على التوفيق بين السير في تنفيذ وعد بلفور، وبين ضمان الحقوق العربية، وأنها ستسعى لمنح العرب قسطا من الحكم الذاتي، وأن تقوم بكل ما من شأنه أن يدعم البنية التحتية الاقتصادية، وعلى رأسها المشاريع الزراعية، وحماية المزارعين وتأمين فرص عمل للجميع، وقد تقبل العرب بشيء من الرضا الكتاب الأبيض الثاني، إلا أن الصهيونية أثارت زوبعة إعلامية أجبرت الحكومة البريطانية أن تصدر (الكتاب الأسود كما أطلق عليه الجانب العربي)، وفيه تم التراجع عن الكتاب الأبيض.

وفي هذا الوقت، وبعد صدور الكتاب الأسود، تصاعدت الهجرة اليهودية لا سيما بعد تصاعد النازية في أوربا، وفي الوقت نفسه بدأ الشارع العربي بالغليان ثانية، الأمر الذي أدى إلى حالة مشحونة بين الأطراف الثلاثة: الانتداب البريطاني، والحركة الصهيونية، والشارع العربي، والتي أدت إلى انطلاق ثورة الشيخ عز الدين القسام، والتي انتهت بعد استشهاده سنة ١٩٣٥م، بعد أن كانت قد مهدت الطريق، مع التغيرات التي شهدتها المنطقة، والظروف العامة العالمية، إلى حصول الإضراب العام سنة ١٩٣٦م، وانطلاق الثورة العربية الكبرى بعد أن حصلت صدامات عنيفة بين العرب واليهود، وقد أعلنت حينها حالة الطوارئ العامة، وتشكلت لجان قومية في المدن الفلسطينية والتي قررت الإضراب العام، لكن حكومة الانتداب لم تسمع للمطالب العربية، الأمر الذي جعل اللجان العربية تدعو الشعب العربي الفلسطيني إلى التمرد على حكومة الانتداب، والتوقف عن دفع الضرائب، وبدأت مجموعات مسلحة بالعمل ضد جبهتين:

حكومة الانتداب من جهة.

والمستعمرات الصهيونية من جهة ثانية.

ومن ثم توسع النشاط الثوري ليشمل وسائل المواصلات والمتاجر، وبالمقابل قررت حكومة الانتداب سحق الثورة بالقوة، والتي كانت قد تركزت في الريف، ووقعت عدة معارك عنيفة بين الثوار وقوات حكومة الانتداب، وقد سيطر الثوار على المناطق الجبلية الوسطى والجليل، وزادت قوات الانتداب من إجراءاتها القمعية، ولكن النار كانت تزداد اشتعالا لا سيما بعد تولي القاوقجي القيادة الثورية، مما أضطر حكومة لندن أن تبعث بتعزيزات عسكرية، وقد عرضت اللجنة العربية بيانا تقبل فيه وقف الثورة بشرط وقف الهجرة اليهودية، وإلغاء قوانين الطوارئ، وإطلاق سراح المعتقلين، ولكن حكومة الانتداب رفضت المطالب العربية، لكنها، إلى جانب الترهيب بالسحق العسكري، مارست الترغيب

من خلال الوساطات العربية لإنهاء الاضطراب، وقد استطاعت الوساطة العربية أن تقنع القيادات الفلسطينية بإنهاء الإضراب الذي استمر لمدة ستة أشهر وإعلان الهدنة، مما سمح للجنة الملكية للتحقيق (لجنة بيل) لبدء أعمالها في تشرين الثاني ١٩٣٦م، وقد استمعت اللجنة إلى الجانبين العربي واليهودي، وفي تموز ١٩٣٧م أصدرت تقريرها، والذي يتضمن تقسيم فلسطين، بعد وصول اللجنة إلى قناعة باستحالة التعايش بين العرب واليهود، والذي يمكن تلخيصه بـ: إنشاء دولة يهودية في القسم الشمالي والغربي من فلسطين، على أن تبقى الأماكن المقدسة في القدس وبيت لحم مع ممر يصلها بمدينة يافا وتضم اللد والرملة تحت الانتداب، أما الدولة العربية فلها الباقي من فلسطين على أن يتم تبادل السكان بين الدولة اليهودية والدولة العربية.

وقد وافقت الحكومة البريطانية على التقرير، أما الجانب الصهيوني فكان منقسماً على قبول تقرير لجنة بيل، في الوقت الذي رُفض من قبل الجانب العربي، الأمر الذي أدى إلى استئناف العمل العسكري، وقد تم دعم الحركة الوطنية الفلسطينية عربيا من خلال عقد اجتماع في بلودان بالقرب من مدينة دمشق أيّد الحركة الوطنية الفلسطينية، مما دعم موقف الثورة التي اشتعلت ثانية في تشرين الأول سنة ١٩٣٧م، ولم تتوقف حتى نشبت الحرب العالمية الثانية، وقد أحرجت الثورة العربية في فلسطين الحكومات العربية، التي ساهمت في عقد المؤتمر البرلماني العربي الإسلامي سنة ١٩٣٨م، ومع الضغوطات المتعددة، والوضع العام العالمي، تخلت الحكومة البريطانية عن مشروع التقسيم، ودعت إلى عقد مؤتمر لندن، والذي انتهى بصدور الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩م، والذي أكد على ضرورة إعلان انتهاء الانتداب وإنشاء دولة فلسطينية مستقلة، وهذا ما كان من شأنه أن تعلن المنظمة الصهيونية الحرب على المشروع البريطاني، وبدأت بنقل ثقلها السياسي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، الدولة التي كانت الصهيونية تراهن على تسيدها على العالم الجديد القادم.

وقد جاءت الحرب العالمية لتهمش بشكل مؤقت القضية الفلسطينية، في الوقت الذي وقف فيه العرب إلى جانب بريطانيا، أما الجانب الصهيوني فقد استغل الحرب لنقل مركز ثقله إلى الولايات المتحدة الأمريكية، كما أنه استفاد من إعلان النازية أنها ستجعل من أوربا الوسطى، (المجال الحيوي الألماني) منطقة خالية من اليهود، وقد كان المطلب الصهيوني هو ترحيل اليهود إلى فلسطين، وقد قامت الأجنحة السرية الصهيونية بعمليات ضد يهود أوربا، وحّملت الحكومات الأوربية المسؤولية عن ذلك، وكانت بريطانيا قد أدركت أن لا سبيل لإنهاء الحرب إلا باستجرار أمريكا إليها من خلال استرضاء الجانب الصهيوني، فتخلت عن الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩م، وتعهدت بقيام دولة يهودية تضم ٣ - ٤ ملايين يهودي، وقد تبنى وايزمن هذا التعهد وطلب من المنظمة الضغط على الولايات المتحدة لدخول الحرب، وكذلك تشكيل فيلق يهودي يشارك في الحرب ويكون نواة للقوة العسكرية التي ستستند عليها الصهيونية لتشكيل الدولة اليهودية، وقد قامت الحركة الصهيونية بحملة إعلامية واسعة لمشروعها متذرعة بالحالة العاطفية العالمية إزاء اليهود أثناء اضطهاد النازية لهم، كما أنها استطاعت العزف على تناقضات الحلفاء لكسب المزيد من التأييد والدعم لمشروعها القادم، في الوقت الذي كان فيه العمل الوطني الفلسطيني في حالة من القهقرى.

وفي الوقت الذي خسرت الحكومة البريطانية بقيادة تشرشل صداقة العرب، فإنها لم تكسب رضى الصهيونية التي كانت قد نقلت مركز ثقلها إلى واشنطن، بعد أن رفضت الحكومة البريطانية اقتراح تشرشل برفض الكتاب الأبيض (كي لا تخسر الموقف العربي)، ولكنها حاولت استرضاء الصهيونية من خلال موافقتها على السماح بتشكيل لواء يهودي عسكري بالاتفاق مع روتزفلت سنة ١٩٤٤م في نهايات الحرب العالمية الثانية، ومقابل ذلك طرحت بريطانيا فكرة إنشاء جامعة للدول العربية، والتي تم وضع ميثاقها سنة ١٩٤٥م، وبعد نهاية الحرب طلبت الصهيونية، التي أصبحت في مركز معزز بالقوة الأمريكية، من بريطانية الإعلان عن تأسيس دولة يهودية، خاصة وأن حرج بريطانية من الجانب العربي لم يعد له ما يسوغه، وقد تجاهلت الحكومة البريطانية ما جاء في الكتاب الأبيض من تعهدات، وسمحت بالهجرة اليهودية بعد أن مارس الرئيس الأمريكي ترومان أشد أنواع الضغوط التي وصلت إلى درجة تهديد الحكومة البريطانية، في الوقت الذي كانت فيه المنظمات الصهيونية تصعّد من عملياتها الإرهابية في فلسطين مع زيادة الهجرة غير الشرعية، الأمر الذي جعل الحكومة البريطانية في سنة ١٩٤٦م تطلب تشكيل لجنة أنكلو- أمريكية لتقصي الحقائق، من أجل التنصل من بعض من مسؤوليتها، وفي الوقت نفسه أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية طرفا أو شريكا في تقرير مصير الصراع العربي اليهودي، وقد قامت اللجنة بالاستماع إلى ممثلي الدول العربية في هيئة الأمم، والأمين العام للجامعة العربية، ثم شهادات العرب واليهود في فلسطين، كما قامت بزيارة أهم العواصم العربية، وبعثت بأعضاء إلى عدد من الدول الأوربية للنظر في أحوال اليهود، وقد أوصت اللجنة في نهاية عملها بالسماح حالا بهجرة ١٠٠ ألف يهودي إلى فلسطين، وأن يقام حكم ذاتي في فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة (أي عدم إقامة دولة عربية أو يهودية)، ولم تأت ردود فعل واضحة من قبل الأطراف المتنازعة، إلا أن الصهيونية، وبدعم من ترومان، تعاملت مع توصية السماح الفوري للهجرة، وكأنه التوصية الوحيدة للجنة، وبدأت بتنشيط الهجرة اليهودية التي ترافقت مع تكثيف الأعمال الإرهابية ضد حكومة الانتداب ضمن مفهوم (حرب الاستقلال)، وقد أدت هذه التطورات إلى أن تطلب الحكومة البريطانية بتدويل الصراع العربي اليهودي، ونقل ملفاته السياسية إلى الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧م.

وكان الحكام العرب قد عقدوا مؤتمرهم الأول في شهر أيار سنة ١٩٤٦م في مصر، والذي أكدوا فيه على عروبة فلسطين، وتم في شهر حزيران من نفس السنة اجتماع مجلس الجامعة العربية الاستثنائي في بلودان، وقد أعلن المؤتمرون رفضهم لتوصيات اللجنة الأنكلو-أمريكية، وطلبوا أن تتم مفاوضات حول القضية الفلسطينية مع المملكة المتحدة، وأُعلن عن فتح مكاتب لمقاطعة المنظمة الصهيونية، والتحضير العسكري التطوعي للدفاع عن فلسطين في حال اقتضى الأمر، كما أُتخذ قرار سري بالعمل ضد المملكة والولايات المتحدة في حال مر تنفيذ توصيات اللجنة الأنكلو-أمريكية.

وقد استجابت المملكة المتحدة لطلب الحكومات العربية بالتفاوض لحل القضية الفلسطينية، وتم عقد مؤتمر في لندن في ١٠ أيلول لسنة ١٩٤٦م شارك فيه ممثلون عن الوكالة اليهودية، وأثناء المؤتمر تم طرح مشروع موريسون، والذي ينص على تقسيم فلسطين إلى: منطقة يهودية، وأخرى عربية، وثالثة دولية تضم القدس وبيت لحم، وتم

رفضه من قبل الطرفين العربي، والصهيوني، وبسبب التباين الشديد في متطلباتهما فقد تم تعليق المفاوضات.

وفي يوم ٢٨ نيسان ١٩٤٧م عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورة استثنائية، وقررت تشكيل لجنة تحقيق دولية، لكن الهيئة العربية العليا قررت مقاطعة لجنة التحقيق، التي قدمت مجموعة من التوصيات تتلخص بتشكيل حكم ديمقراطي في فلسطين بعد إنهاء الانتداب، ولكن اللجنة اختلفت حول صيغة التنفيذ، وتم طرح فكرة التقسيم، وقد عملت الولايات المتحدة الأمريكية في الكواليس لدعم قرار التقسيم، ومارست السياسة الأمريكية ضغوطا مفضوحة وقذرة على مندوبي هايتي، وليبيريا، والفيليبين من أجل الحصول على موافقة ثلثي الأصوات.

وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ صدر قرار التقسيم، والذي رفضته الهيئة العربية العليا، كما تم رفضه شعبيا في كل الوطن العربي، وعبّروا عن ذلك من خلال مسيرات صاخبة عمّت كل العواصم والمدن العربية.

أما الصهيونية فقد بدأت بتهيئة قواتها للحظة الحسم العسكري، وكان تعداد القوات اليهودية في نيسان ١٩٤٦م ٦٨ ألف مقاتل، أما القوات العربية الفلسطينية فكانت عبارة عن مجموعات متفرقة، وقد أجرت بعض التنسيق فيما بينها، ولكن لم تكن قد وضعت مخططا ذا بعد استراتيجي للمعركة القادمة، وكانت الجامعة العربية قد شكلت جيش الإنقاذ من المتطوعين العرب، وتم تجميعهم في معسكر قطنا بالقرب من مدينة دمشق بعد قرار التقسيم، وكان تعدادهم ٣٨٣٠ متطوع موزعين على عدد من الأفواج، وقد تحركت باتجاه فلسطين بعد اتباع المتطوعين العرب دورة عسكرية بسيطة بقيادة اللواء العراقي طه الهاشمي، وتولى القيادة الميدانية فوزي القاوقجي الذي دخل إلى فلسطين في آذار ١٩٤٨م، وكانت قوات الانتداب قد بدأت تعيد انتشارها من أجل انسحابها في الوقت المناسب، وقد توزع جيش الإنقاذ حسب قرار التقسيم، وبدأ هجومه من خلال فوج اليرموك ليلة ٢١ من شهر كانون الثاني سنة ١٩٤٨م، وبدأت الأعمال العسكرية التحرشية بهجومات صغيرة، وعمليات كمائن على طرق المواصلات، أما الجانب العسكري اليهودي فكان منظماً ومهيأ ضمن خطة عسكرية تكتيكية، وكانت الميليشيات الصهيونية تقوم بالرد الأولي على شكل دفاعي، بينما تحين ساعة الصفر للتحول إلى الخطة الهجومية، والتي بدأتها قبل الانسحاب البريطاني، بعد أن تقدمت بشكوى إلى مجلس الأمن ضد الدول العربية التي كانت تدق طبول الحرب، وقد سحبت الإدارة الأمريكية تأييدها لقرار التقسيم، واقترحت على مجلس الأمن وضع فلسطين تحت الوصاية، لإعادة تقييم الصراع على فلسطين، وعقد هدنة سياسية عسكرية بين الطرفين العربي واليهودي حتى يتم حسم المشكلة في هيئة الأمم المتحدة، ولكن هذا الاقتراح تم رفضه من قبل الطرف العربي، ومن قبل الوكالة اليهودية أيضا التي كانت قد بدأت بالعمل العسكري الهجومي، وردا على ذلك اتخذت اللجنة السياسية للجامعة العربية في ١٢ نيسان ١٩٤٨م قرار (الزحف على فلسطين) يوم ١٥ أيار/مايو ١٩٤٨م عشية انسحاب قوات الانتداب البريطاني، وفي يوم ١٤ أيار/مايو ١٩٤٨م أعلن ديفيد بن غوريون قيام دولة إسرائيل، والتي اعترف بها الرئيس الأمريكي بعد دقائق من الإعلان، وتلاه إعلان المندوب السامي البريطاني

قرار نهاية الانتداب الإنكليزي على فلسطين، في الوقت الذي كانت فيه قوات الهاغاناه منتشرة في المستعمرات اليهودية والمدن الرئيسية، وتلاه إعلان الحكومات العربية دخول جيوشها إلى فلسطين {والآن وقد انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين من دون أن تنشأ فيها سلطة دستورية شرعية تكفل صون الأمن واحترام القانون وتؤمن السكان على أرواحهم وأموالهم.. رأت حكومات الدول العربية نفسها مضطرة إلى التدخل في فلسطين لمجرد مساعدة سكانها على إعادة السلم والأمن وحكم العدل والقانون إلى بلادهم}، وتم دخول الجيوش العربية الخمسة إلى فلسطين والتي كانت على أدنى درجات الجهازية من حيث التدريب والتسليح وهي:

الجيش	قوامه	
المصري	٥٠٠	مقاتل
الأردني	٤٥٥٠	مقاتل
العراقي	٢٥٠٠	مقاتل
السوري	١٨٧٦	مقاتل
اللبناني	١٠٠٠	مقاتل

وكانت تلك القوات تحت قيادة ملك الأردن عبد الله الأول بن الحسين، وتم توزيعها على عدة قطاعات حسب ما هو متفق عليه، وهذا ما وضع القوات اليهودية في موقع الدفاع، وقد استطاعت القوات الصهيونية ضمن خطة واضحة أن تمتص هجوم القوات العربية إلى درجة ما، وقد جاءها الفرج الحقيقي من خلال قرار مجلس الأمن بإعلان الهدنة لمدة أربعة أسابيع، والتي وافقت عليه الدول العربية بعد ممارسة ضغوط من قبل الدول الكبرى، في الوقت الذي كانت فيه كفة الصراع تميل للجانب العربي، وهذا ما سمح للقوات اليهودية أن تعيد ترتيب أوضاعها، وتعيد صياغة خطتها العسكرية من وضع الدفاع إلى وضع الدفاع - الهجوم حسب المقتضيات، وأن تدعم قواتها بوصول المزيد من المتطوعين، واستجرار المزيد من الأسلحة الأكثر تطورا بما فيها الطائرات، وفي الوقت نفسه كان قبول الهدنة وكأنه اعتراف ضمني بقرار التقسيم من قبل الجانب العربي، ثم عادت الأعمال العسكرية بعد انتهاء الهدنة، واستمرت لمدة عشرة أيام فقط، كانت الكفة فيها تتأرجح بين دفاع وهجوم، وقد بدأت القوات الإسرائيلية تأخذ زمام المبادرة، بينما بدأت القوات العربية تعاني من حالة من التفكك، وفي يوم ١٩ تموز استجاب الطرفان العربي، والصهيوني للهدنة التي أمر بها مجلس الأمن، الأمر الذي قدّم المزيد من الفرص لتدعيم الجانب الإسرائيلي، وإعطائه الفرصة المناسبة ليهيئ نفسه لمرحلة جديدة، وخلال الهدنة تقدم برنادوت بمشروع جديد ينص على:

أن تعترف الدول العربية بإسرائيل ضمن قرار التقسيم الذي عدّل قليلا بحيث تضم الأراضي العربية الفلسطينية إلى الأردن، وأن تكون القدس تحت إشراف دولي، على أن يكون ميناء حيفا ومطار اللد مرافق حرة، وهذا ما زعزع الثقة والتنسيق في

الصف العربي، ولا سيما الجانب الأردني الذي راق له ضم الأراضي العربية على أساس قرار التقسيم.

وفي يوم ١٥ تشرين أول / أكتوبر ١٩٤٨ بدأت القوات الإسرائيلية عملياتها العسكرية الحاسمة باستخدام سلاح الجو، الأمر الذي مكّنها من الاستيلاء بقوة على الأراضي الفلسطينية حسب قرار التقسيم، وعلى عدة مراحل مستفردة بالجبهات كل على حدة.

وفي النهاية توقفت الأعمال العسكرية على مراحل أيضا وانتهت في آذار/مارس ١٩٤٨م، وبدأت المفاوضات على الهدنة ضمن سيناريو كان يُعدّ بشكل سريع وتكتيكي.

وفي رودوس تم الاتفاق مع الأردن في ٣ نيسان على الهدنة، وأصبحت بمقتضاه القدس مقسمة إلى شطرين، وتبعت الضفة الغربية للأردن، وكانت القوات قد انسحبت دون مفاوضات الهدنة.

أما اتفاقية الهدنة على الجبهة المصرية فتمت في ٢٤ شباط/فبراير ١٩٤٩م في رودوس بحيث ضُمّ قطاع غزة إلى السيادة المصرية.

وفي رأس الناقورة وقّعت لبنان اتفاقية الهدنة يوم ٢٣ آذار/ مارس ١٩٤٩م.

بينما تأخر توقيع الهدنة مع سورية نظرا لحساسية الحدود وقيمتها الاستراتيجية حتى ٢٠ تموز / يوليو ١٩٤٩م.

وبذلك تم تقاسم فلسطين بين إسرائيل والأردن ومصر، وأصبحت دولة إسرائيل أمرا واقعا تضافرت على توقيعها مؤامرة دولية شارك فيها القاصي والداني، والبعيد والقريب؟؟؟